الشعر

(تتمة ما في الاجزآء السابقة)

وقد قدّمنا ان الاغراض الشعرية على ضربين احدهما ما يُقصَد بهِ العمل في القلب والتلاعب بحركات النفس وانفعالاتها فيتحرَّى فيهِ ذكر الاحوال المهيجة للحزن او الفرح او الغضب او الأَنفة او غير ذلك وهو الاصل في غرض الشعر كما سبق الايماء اليهِ . والثاني ما يُنحى فيهِ الى إعمال الذهن والتأثير على القوى المدركة بما يخيَّل لها من الصور المبتدَعة والتماثيل المزخرفة وهذا الضرب اقرب الى مذاهب البلاغة منهُ الى اسلوب الشعر وعليهِ غالب شعر العرب لولوعهم بالإغراب وبنآء لغتهم على التفنن في طرق البلاغة على ما هو معروف من مذهبهم في سائر كلامهم . والأمثلة من هذا اشهر من ان تذكَر وقد مرّ منها في الاجزآء الماضية ما يغني عن الاطالة هنا . واما المعاني الوجدانية فالوارد منها في شعرهم عزيزٌ نادر لا يحضرنا منهُ الا امثلةٌ قليلة نورد بعضها في هذا الموضع بمنزلة نموذج يظهر بهِ الفرق بين المذهبين . فمن ذلك قصيدة مالك بن الريب التميمي يرثي نفسهُ وكان قد خرج مع سعيد بن عفّان لما ولي خُراسان فلما كان في بعض الطريق اراد ان يلبس خفّهُ فاذا بافعى فيهِ فلسعتهُ فلما احسّ بالموت انشأ هذه القصيدة ومنها يقول

تفقدتُ من يبكي عليَّ فلم اجد   سوى السيف والرمح الرُدينيّ باكيا
وأشقرَ خنذيذٍ يجرُّ عنانهُ   الى الماء لم يترك لهُ الموت ساقيا

يريد بالاشقر مهرهُ والخنذيذ الجسيم . ومنها

ويا صاحبيْ رحلي دنا الموت فانزلا ... برابيـةٍ اني مقيـمٌ لياليا

أقيما عليَّ اليـوم او بعض ليـلةٍ ... ولا تُعجـلاني قـد تبيَّن ما بيا

وقوما اذا ما استُلَّ روحي فهيّئـا ... ليَ القبر والاكفان ثم ابكيانيا

وخُطّا باطراف الاسنّـة مضجعي ... ورُدّا على عينيَّ فضـل ردائيا

خُطّا اي شقّا والمضجع القبر وهي قصيدة طويلة . ومن ذلك قول ابي العتاهية

سيُعرَض عن ذكري وتُنسى مودّتي ... ويحدث بعدي للخليـل خليـلُ

اذا ما انقضت عني من الدهر مدّتي ... فان غَناءِ الباكيات قليلُ

ويُنسَب الى الرئيس ابي عليّ بن سيناء

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها ... وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالمِ

فلم أرَ الا واضعاً كفَّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ او قارعاً سنَّ نادمِ

وقريبٌ منهُ قول عبدالله بن طاهر وقد مات اخوهُ سليمان فوقف على تربتهِ وفيها اهلهُ وانشد

النفس ترقى بحزنٍ في تراقيها ... وعبرة العين تجري من مآقيها

لبُقعةٍ ما رأت عيني كقلّتها ... ولا ككثرة احبابٍ ثووا فيها

ومن ذلك قول بعضهم

تمتَّع بها ما ساعفتك ولا تكن ... عليك شجىً في الحلق حين تبينُ

وان هيَ اعطتك الليان فانها ... لغيرك من خلاّنها ستلينُ

وان حلفت لا ينقض النأيُ عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمينُ

الشجى ما يعترض في الحلق من عظم ونحوهِ . والنأي البعد . ومخضوب البنان كناية عن المرأة . والرأس في هذا النوع قول البسوس بنت منقذ

التميمية خالة جساس بن مرّة حين عقر كليب ناقة جارها سعد الجرمي في القصة المشهورة فلما رأت الناقة وهي تعجّ والسهم في ضرعها صكّت وجهها وصاحت وا ذُلاّه وا جوار جسّاس وا جوار همّام وا جوار مرّة وا جوار بني ذُهل ثم انشدت

لعمريَ لو اصبحتُ في دار منقذٍ | لما ضِيمَ سعدٌ وهو جارٌ لأَبياتي
ولكنني اصبحتُ في دار غربةٍ | متى يعدُ فيها الذئبُ يعدُ على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل | فانك في قومٍ عن الجار اموات
ودونك أذوادي اليك فانني | محاذِرةٌ ان يغدروا ببُنيّاتي

اذوادي نياقي

وسِرْ نحو جَرْمٍ ان جرماً اعزّةٌ | ولا تكُ فينا لاهياً بين نِسواتِ

فلما انشدت هذه الابيات اوغرت صدور القوم ثم نشبت الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب فدامت فيما يقال اربعين سنةً والعرب تسمي ابياتها هذه بالموثبات

ويكثر في شعر العرب التكلم في ضروب الآداب ووصف محاسن الاخلاق والحض على الحلم والمجاملة والتمسك باسباب الحزم الى ما شا كل ذلك مما جمعهُ صاحب كتاب الحماسة تحت عنوان الادب والامثلة من هذا اكثر من ان تُحصى نذكر منها قول السموأل من قصيدتهِ المشهورة

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ | فكل رداءٍ يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها | فليس الى حسن الثناء سبيلُ

وقول معن بن اوس

اذا انت لم تنصف اخاك وجدتهُ | على طرف الهجران ان كان يعقلُ

ويركب حدَّ السيف من ان تضيمهُ ... اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحلُ
وكنتُ اذا ما صاحبٌ رام ظنّتي ... وبدّل سوءًا بالذي كنت افعلُ
قلبت لهُ ظهر المِجَنّ فلم أدُم ... على ذاك الا ريثما اتحولُ
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... اليهِ بوجهٍ آخرَ الدهر تُقبِلُ

وقول حاتم الطآئي

اذا كنتَ ربًّا للقَلوص فلا تدَع ... رفيقك يمشي خلفها غير راكبِ
أنِخها فأردِفهُ فان حملتكما ... فذاك وان كان العقابُ فعاقبِ
وما انا بالساعي بفضل زمامها ... لتشرب ما في الحوض قبل الركائبِ

القَلُوص الناقة الفتيّة والإرداف ان تُركِبهُ خلفك والعقاب مصدر عاقب وهو ان يركب احد الرجلين مرّةً والآخر مرّة . وقولهُ ايضاً

ولا نطرق الجارات من بعد هجعةٍ ... من الليل الا بالهديّة تُحملُ
ولا يُلطَم ابن العمّ وسط بيوتنا ... ولا نتصبى عِرسَهُ حين يغفلُ

وقول المؤمّل بن أميل المحاربي

وكم من لئيمٍ ودَّ أني شتمتهُ ... وان كان شتمي فيهِ صابٌ وعلقمُ
ولَلكفُّ عن شتم اللئيم تكرُّماً ... اضرُّ لهُ من شتمهِ حين يُشتَمُ

ومن احسن ما جآء لهم في ذلك قول زهير بن ابي سلمى من معلقتهِ المشهورة وهي الابيات التي عُدّ لاجلها اشعر العرب

ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ ... يعزُّها ومن لا يتّقِ الشتم يُشتَمِ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ ... على قومهِ يُستغنَ عنهُ ويُذمَمِ
ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ ... ولو رام اسباب السمآء بسلَّمِ

ومن يجعل المعروف في غير اهلهِ يكن حمدهُ ذماً عليهِ ويندمِ
ومن لا يَذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ يهدَّمْ ومن لا يظلم الناس يُظلَمِ
ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقهُ ومن لا يكرّمْ نفسهُ لا يكرَّمِ
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ
وكائنْ ترى من صامتٍ لك معجبٍ زيادتهُ او نقصهُ في التكلمِ
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ فلم يبقَ الا صورة اللحم والدمِ

وكل ذلك مع شرف اغراضهِ ونباهة معانيهِ وما فيهِ من البلاغة والحسن غير مندمج في شرط الشعر لان غالبهُ من الحقائق المحضة وانما هو من باب الخطابة وفائدتهُ تهذيب الاخلاق وتنبيه الفِطَن وحفظ تلك الاقوال للتمثل بها في وقت الحاجة دون مشاغلة النفس بمثل ما ذكر من الصور الخيالية. ولهذا المعنى اخرج بعضهم كلام المتنبي وأبي العلآء المعرّي من الشعر لانهما كثيراً ما ينحوان فيهِ الحكمة وضرب المثل وكلاهما ليس في مذهب الشعر ولا من اغراضهِ

ويلحق بذلك نظم الوقائع التاريخية وما يتصل بها على طريق السرد المقصود بهِ مجرّد ذكر تلك الوقائع كما فعل الشيخ ابرهيم الحلبي في نظم السيرة النبوية وابن جابر الاندلسي في نظم فضائل الصحابة العشرة وغير ذلك مما نُظمت فيهِ الحوادث بصورتها الواردة في كتب التاريخ. وانما يحسن مثل هذا اذا أُفرغ في قالبٍ شعريّ بان يُضَمّ اليهِ ما يزيَّن بهِ من المعاني المخترعة او المستنبطة من سياق الوقائع بحيث يكون فيهِ شغلٌ للمخيلة يُدخلهُ في حدّ الشعر وذلك كما فعل الشيخ محمد البوصيري مثلاً في بردتهِ وهمزيتهِ

المشهورتين اللتين جلَّى بهما على شعر كل شاعر ولا سيما الهمزية منهما مع تضمينها التاريخ النبوي بكل حوادثهِ وملحقاتهِ . ويتصل بما ذُكر مثل قول النابغة يعتذر الى النعمان حين وُشي بهِ اليهِ

اتاكَ امروُّ مستبطنٌ لي بَغضةً ... لهُ من عدوّ مثل ذلك شافعُ
اتاكَ بقولٍ هلهلِ النسج كاذبٍ ... ولم يأتِ بالحق الذي هو ناصعُ
اتاكَ بقولٍ لم اكن لأَقولهُ ... ولو كُبّلت في ساعديَّ الجوامعُ

قولهُ لهُ من عدوٍّ الخ اي لهُ شافعٌ من عدوٍّ مثلهِ والشافع هنا من شفعت الشيء اي صيرتهُ شفعاً وهو الزوج . والهلهل السخيف . والجوامع جمع جامعة وهي قيدٌ تُجمع بهِ اليدان الى العنق . والتكبيل التقييد واراد ولو كُبّل ساعداي بالجوامع فقلب الكلام للضرورة . وهذا النظم كما تراهُ ليس فيهِ شيءٌ من ديباجة الشعر ولا عليهِ طلاوة سائر كلام هذا الشاعر وذلك لانهُ حكاية واقعة اضطرّ الى سردها لا تحتمل شيئاً من التخييل وانظر اين هذا من قولهِ بعد ذلك

لكلفتني ذنب امرئٍ وتركتهُ ... كذي العُرّ يُكوَى غيرهُ وهو راتعُ
فان كنتُ لاذو الضِغنِ عني مكذَّبٌ ... ولا حلفِي على البراءة نافعُ
ولا انا مأمونٌ بشيءٍ اقولهُ ... وانت بامرٍ لا محالة واقعُ
فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلتُ انَّ المنتأى عنك واسعُ

العُرّ قروحٌ تخرج باعناق الفصلان قيل فاذا ارادوا ان يعالجوهُ كووا بعيراً صحيحاً فيبرأ صاحب العُرّ وهو من خرافات العرب وقيل غير ذلك . ومثلهُ ما ذكرهُ في قصة زرقاء اليمامة المشهورة حيث قال

احكم بحكم فتاة الحيّ اذ نظرت الى حمامٍ سراعٍ واردِ الثمدِ
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفهُ فقدِ
فحسبوهُ فألفوهُ كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزدِ
فكملت مئةً فيها حمامتها واسرعت حسبةً في ذلك العددِ

فان هذا النظم اشبه باراجيز العلوم منهُ بكلام الشعرآء فضلاً عما فيهِ من الحشو واللغو في شطرهِ الاخير وقد جآء بين هذه الابيات بيتٌ اوردهُ بعد البيت الاول تراهُ كانهُ من نسيجٍ آخر وهو قوله

يحفّهُ جانبا نيقٍ وتُتبعهُ مثلَ الزجاجة لم تُكحَل من الرمدِ

يحفهُ اي يحيط بهِ والهآء للحمام. والنيق الجبل العالي. وقولهُ مثل الزجاجة نعت لمحذوف اي تُتبعهُ عيناً مثل الزجاجة يريد عين الزرقآء المذكورة يصفها بالصفآء والسلامة من الدآء حتى انها لم ترمد ولم تُكحَل لعلّة

على ان هذه الاقاصيص والوقائع وان خلت عن غرض الشعر فان فيها فائدة علمية لا تنكر لان الشعر اسهل استظهاراً وابعد عن التحريف والفساد لتقييدهِ بالوزن والقافية وعنهُ أُخذ معظم تواريخ العرب ووقائعهم وانسابهم وعاداتهم وعباداتهم وسائر شؤونهم ولولاهُ لم يصل الينا ما نقف منهُ على حقيقة ما كانوا عليهِ . ومثل ذلك القصائد العلمية من الاراجيز وغيرها كمنظومات النحو والبيان والمنطق والطب وغيرها وكالقصائد التي ضُبطت فيها بعض الفاظ اللغة وقيودها وغير ذلك من الفوائد والنظم في ذلك كله اكثر من ان يُحصى والغرض من جميعهِ واحد وهو ضبط هذه الاشيآء في الفاظٍ مقدَّرة لا تقبل النقص ولا الزيادة. وهذا كما لا يخفى من النظم الذي

لهُ قالب الشعر دون اسلوبه ومعانيه وهو الذي ينطبق عليهِ تعريف العروضيين فيما سبق كما ان بعض الشعر مما تقدم في اوائل هذه المقالة لهُ من الشعر اسلوبهُ ومعانيهِ دون قالبهِ فهما على طرفي نقيض ولكلٍ منهما موضعٌ لا يصلح لهُ الآخر

وقد اطلنا في هذا البحث بما لعل المزيد عليهِ يؤدي الى ملل المطالع فثقف منهُ عند هذا القدر وقد بقي في كل ما ذكر كلامٌ طويل لو شئنا ان نوفيهُ حقهُ لاقتضى مجلداً برأسهِ فاقتصرنا منهُ على ذكر المهمّ مما لم نجد فيهِ بياناً لغيرنا والله سبحانهُ اعلم بالصواب وهو وليّ الهداية

السلّ الرئوي

لحضرة النطاسي البارع الدكتور حبيب همام.

لا بُدَّ لي قبل البحث في هذا الموضوع من ان المَّ بطرفٍ من الكلام عن المكروبات عموماً وعلاقتها بالامراض خصوصاً فأقول

انهُ قد تبين عند اهل البحث انّ في العالم المنظور عالماً غير منظور هو عالم المكروب وهذا المكروب منهُ ما هو نافعٌ ومنهُ ما هو ضارٌّ فالنافع منهُ ما يعيش على جثث الحيوانات الميتة والنباتات والاعشاب اليابسة فيُحدث فيها الاختمار والفساد ويُحلّلها الى العناصر البسيطة التي تركَّب منها بحيث تصير صالحة لغذآء ونمآء حيوانات ونباتات أُخر . وهكذا تتعاقب الحياة والموت والتركيب والتحليل وتتمّ حلقة نظام الحياة ويلزم فيها الدور الى ما شآء الله من الازمان ولولا ذلك لنفد ما في الارض من الغذآء وانقرض

النبات والحيوان عن وجه البسيطة . واما الضارُّ منهُ فهو النوع الذي يعيش حلَميًّا على الاجسام الحيَّة فيغتذي منها ويسبب الادوآء والموت اما بمبرزاته السامَّة او باتلافهِ ما بهِ قوام الحياة . وقد تبين ايضاً ان في جسم الحيوان حُوَيصلات وكُرَيَّات شبيهة بهذا المكروب فاذا التقى الفريقان في جسم حيوانٍ ما حصل بينهما قتالٌ شديد وحربٌ عوان يدعوهما اليها تنازع البقآء فان كانت الحرب بينهما سجالاً راوح الحيوان بين ابلال وانتكاس وان عُقد النصر لاحدهما قُضي على الآخر بالهلاك والموت . ومعلومٌ ان جسم الانسان ليس الا مجموع هذه الحُوَيصلات والكُرَيَّات فان خرجت من معترك تنازع البقآء سليمة كان هو سليماً وان دارت عليها دوائر الحرب واهلكتها هلك هو ايضاً وما الدآء الذي نحن بصددهِ الآن الا نزاعٌ من هذا القبيل . فاذ قد تبين ذلك نقول

ان السلّ الرئوي او التدرُّن الرئوي هو مرضٌ تتصلَّب فيهِ بعض الانسجة الرئوية ثم تحول حؤولاً جبنياً ثم تنحل وتلين وتخرج بالسعال نفثاً عن طريق المجاري الهوآئية فينشأ عن ذلك كهوفٌ في الرئتين واندثارٌ في الانسجة وانحطاطٌ في البنية وحمَّى وضعف وهزال وغير ذلك من الاعراض المعهودة في هذا الدآء ويعقب ذلك في غالب الاحيان الموت اما بسبب عدم كفاية ما يبقى سليماً من الانسجة الرئوية لتنقية الدم واتمام هذه الوظيفة المهمة او بسبب الحمى والضعف الملازمين هذا الدآء او بسبب انتشار العلة في كثير من اقسام الجسم

اما مكروبهُ فقطرٌ من نوع الراجبيات يُرى بالمجاهر المعظمة ممشوق

القوام مستقيم الحواشي طولهُ نحوٌ من ثلث قطر كُريَّة دموية حمرآء وثخنهُ سدس هذا القدر . وهو يعيش في درجة من الحرارة بين ٨٤ و١٠٨ من مقياس فارنهيت او بين ٢٩ و٤٢ من السنتغراد ولذا كانت الحيوانات ذوات الدم الحار في غاية الموافقة لحياتهِ وكان وجودهُ خارجاً عن هذه الحيوانات سبباً لهلاكهِ اذ لا يصبر طويلاً على حرارة الهواء الجوّي . وهو عادم الحركة فيدخل الرئتين محمولاً على اجنحة الهوآء فاذا وجد ثمَّة بنية موافقة لنموّهِ نما فيها ونشأ عن نموّهِ التهابات وتغيرات واعراض معلومة عند اهل هذا الفنّ والا رجع محمولاً كما اتى

واما التغيرات التي تنجم عنهُ في الرئتين فهي تجمُّع حوَيصلات ابيثيليَّة وكُريَّات دموية وارتشاحات ليفية في الخلايا الهوآئية فتُسدّ بذلك هذه الخلايا ويمتنع دخول الهوآء اليها . وقد تحدث نفس هذه التغيرات في الالتهابات البسيطة الحادَّة الا انهُ يعقب هذه التغيرات التي نحن بصددها تغيرات اخرى من شأنها اهلاك الحويصلات والانسجة بخلاف ما يحدث في تغيرات الالتهابات البسيطة التي كثيراً ما تنتهي بالامتصاص والشفآء . ولقد حاول كثير من علمآء هذا الفنّ ان يعلّلوا سبب هذا الفرق العظيم فذهبوا فيهِ مذاهب متباينة لا محل لاستيفآئها في هذا المقام ولعل الارجح انهُ ناشئٌ عن موت حويصلات الجسم وأنسجتهِ في معترك تنازع البقآء اذ لا تقوى على دفع مكروب الدآء فتهلك في سبيل الدفاع . وقد سُمّي ضعف هذه الحويصلات عن مقاومة المكروب استعداداً وهذا الاستعداد اما وراثي او عارض فالوراثي ما كان في اصل البنية من ضعف بعض الحويصلات

وعجزها عن مقاومة المكروب والعارض ما طرأ على الجسم لاسبابٍ تضعف حويصلاتهِ وتقعدها عن الدفاع في سبيل الحياة. وكثيراً ما تطرأ هذه الاسباب المضعفة مع الاستعداد الوراثي فتزيد الاستعداد استعداداً وتثير العلّة وتقرّب الاجل. على ان مكروب هذا الدآء قد لا يتمكن من اختراق الغشاء المخاطي والوصول الى الانسجة الرئوية غير انهُ لا يعدم حاملاً يحملهُ ويجتاز به الى هذه الانسجة لانهُ كثيراً ما تلاقيهِ بعض الكريات المفترسة على ظاهر الغشآء فتلتقمهُ وتدخل بهِ الى الانسجة فان قويت عليهِ هضمتهُ واغتذت بهِ وكفت الجسم شرَّهُ وان قوي عليها اتلفها حتى اذا فرغ من امرها اندفع اليهِ غيرها ثم غيرها وهلمَّ جرًّا فان كان الضعف الذي يسمى بالاستعداد عظيماً بطش بها جميعاً واجتاح الانسجة الرئوية فعاث وافسد ويعاونهُ على ذلك تكاثر عددهِ وازديادهُ بالانقسام الذاتي . الا انهُ كثيراً ما تحيط بهِ هذه الحوَيصلات احاطة السوار بالمعصم وذلك اذا شعرت من نفسها بالضعف عن مقاومتهِ فتفرز حولهُ مادَّةً ليفيَّة لا يمكنهُ اختراقها وهكذا تحجر عليهِ الى اجلٍ غير معلوم وهذا ما يسمى بالتكيُّس . ففي هذه الحال تتوقف اعراض الدآء وتحسَّن احوال المريض ويظنّ انهُ قد ابلَّ الا ان ذلك لا يلبث طويلاً حتى تتفجَّر هذه الاكياس ويندفع ما فيها من المكروبات التي لم تزل حيَّة فتعود الى ما كانت عليهِ من تنازع البقآء وهكذا يتماثل العليل مرةً وينتكس اخرى كما هو معلوم من امر هذا الدآء

(ستأتي البقية)

الجرائد والكتاب

لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم

لا يخفى ما للجرائد على اختلاف انواعها من التأثير على عقول القرآء وما يناط بها من السعي في اصلاح شؤونهم وتثقيف أوَدهم لانها انما وُضعت لتكون استاذ المجتمع وخطيب انديته ومشيرهُ وقائدهُ الى الخير والصلاح ومهذب عاداتهِ واطوارهِ وبالجملة فهي السبب الاعظم في تنوير الاذهان ونشر التمدن والمعارف واصلاح الاخلاق والآداب ولذلك كان من اول شروطها ان تكون مستجمعةً لهذه المبادئ لان ما لا صلاح لهُ في نفسهِ لا يمكن ان يكون مصلحاً لغيرهِ

وانا ليسوءنا ان نرى جرائدنا على خلاف حال الجرائد في سائر البلاد المتمدنة فانها فضلاً عن قلة فائدتها للقرآء كثيراً ما اضرّت بآدابهم وعقولهم وكانت سبباً لتفريق جامعتهم والقآء الشقاق بين اهل البلد الواحد منهم والمصلحة الواحدة . ولا نخصّ بذلك جرائد القطر المصري فهذه جرائدنا في اميركا قد بلغت من الافساد بين احزاب قرآئها ما لا يقاس بهِ ما نراهُ في مصر وانما نشأ هذا الفساد عن الحرّية التي أُطلقت لهذه الجرائد وعدم وجود مسيطرٍ عليها يأزِمها طريقاً لا تتعدّاهُ ألا وهي الحرّية التي طالما سعى غيرنا من الامم في الحصول عليها من حكوماتهم ولم تفلح جرائدهم حتى نالتها فكانت عندنا هي سبب التقهقر ومنشأ الفساد . ومن شك في ذلك فلينظر الى جرائد سوريا فانها مع كونها ليست باكثر نفعاً للقرآء من الجرائد الأُخر فهي بمعزل عن القآء الفتن وزرع الشقاق وما ذلك الا لانها مقيدة عند

حدٍّ لا تجاوزهُ

واذا اعتبرت هذه الحال في جرائدنا مع حال الجرائد الاجنبية وما هي عليهِ من النلاح مع توفر الحرّية التامة لها علمت السبب في تأخر جرائدنا وحكمت بان العلة هي نفس كتّابنا وضعف ما عندهم من الاستعداد للقيام بمثل هذا الامر الخطير . وذلك اولاً لما نشأوا عليهِ من التعصب حتى صار فيهم طبيعةً لازمة فلا يكادون يدخلون في امر او يتجهون لعمل الا كان التعصب رائدهم . وثانياً لعدم قصدهم النفع بجرائدهم وانما يقصدون التجارة ونفع انفسهم وتسخير القرآء لتنفيذ اغراضهم . وثالثاً لعدم علمهم بشروط الجرائد وواجباتها ومنزلتها من الامة التي تُنشَر بينها وعدم مبالاتهم بما ينشأ عنها خيراً كان او شرًّا . ورابعاً لنقص خبرتهم بالمباحث التي يخوضون فيها علماً كانت او سياسةً او ادباً او صناعةً او غير ذلك وانما جُلّ رأس مال اكثرهم النقل عن الجرائد الاجنبية ولذلك ترى جرائدنا السياسية كانها نسخة واحدة لانها باسرها معربة وانما الفرق بينها في قالب العبارة فاذا قرأ الانسان جريدةً منها فكانهُ قرأ الجميع . وهذه الامور هي السبب فيما نراهُ من قلة رواج الجرائد عندنا وكثرة شكاوى اصحابها وتذمرهم من قلة الاقبال عليها وهم يجهلون او يتجاهلون اسباب هذا الكساد ولذلك كثيراً ما ترى منهم من ينشئ جريدةً فتستمرّ بضعة اشهر او اسابيع ثم يهملها بعد ان يضيع عليها ما شآء الله من ذات يدهِ ويستنزف مال بعض المشتركين جزافاً

ولقد وردت على كاتبة هذه السطور منذ امدٍ غير بعيد جريدةٌ حديثة النشأة فتصفحتُ المقالة الاولى منها فاذا هي محشوةٌ بذمّ الناس ورميهم

بالجهالة والحمق والشحّ لعدم تهافتهم على الاشتراك في هذه الجريدة والارتواء من مناهل علمها حتى انها جعلتهم كالتماثيل لا عقل لهم ولا هم يقدرون للكتابة قدراً . ثم انتقلتُ الى ما بعد ذلك من المقالات فلم اجد سوى فصول فارغة قد حُشيت بالهذر واُفعّمت بركيك العبارات وسخيف المعاني فضلاً عما هناك من التمويهات والدعاوي العريضة والتطاول على اصحاب المقامات العالية . وانما ذلك كلهُ ذريعةٌ عند هذا الكاتب وامثالهِ لاكراه الناس على الاشتراك في جرائدهم خوفاً من التنديد بهم فاذا رُدَّت جرائدهم عليهم لم يلبثوا ان يعيدوها ويتابعوا ارسالها على هذا النمط مرةً بعد اخرى حتى اذا مضت على ذلك بعض اشهر من السنة ارسلوا يطالبون بقيمة الاشتراك حتى ينالوها بمثل هذه الدناءة وهم لا يخجلون

على ان اكثر اهل هذه الطبقة هم ممن ضاقت بهم سبل المعاش واعيتهم حيل الكسب فيحشرون انفسهم بين كتاب الجرائد ظناً منهم انها من الخطط السهلة وهم لا يعلمون منزلتها من ارباب الاقلام ولا ما تقتضيهِ من سعة العلم وطول الباع في صناعة الانشاء والتبسط في جميع انواع المعارف فاذا تبين لهم عجزهم عن القيام بحقها ورأوا ما هي فيهِ من الكساد عدلوا الى التملق تارة والوقيعة اخرى تقرباً من قومٍ وارهاباً لآخرين احتيالاً على سلب اموال الفريقين . فلا ريب ان امثال هؤلاء هم السبب الاكبر في انحطاط درجة الصحافة عندنا وسقوط قدرها واعراض القرّاء عن المطالعة فهم على الحقيقة ضربةٌ على الجرائد والقرّاء جميعاً لانهم ليسوا بالعدد القليل ولا جرائدهم بالشيء النادر ولكنهُ لا يكاد يمرّ اسبوع حتى تصدر فيهِ جريدةٌ او مجلة

يطرحونها على الناس بمثل الطريقة المذكورة حتى سئم القرآء هذا التعجيز المتواصل ونشأ عندهم كراهةٌ للجرائد على العموم . على ان البلاد لا تحتمل مثل هذه الكثرة من الجرائد مهما كان مضمونها وفائدتها لان القرآء عندنا عددٌ قليل والذين اعتادوا بذل المال في سبيل العلم هم القسم الاقلّ منهم وذلك فضلاً عن ان اكثر الذين يميلون الى المطالعة هم ممن رقّت حاشيتهم وقلّت ذات يدهم لان الغنيّ لا يكاد يبالي بغير الكأس والورق ......

وبالاجمال فان نجاح الجرائد عندنا يتوقف على امرين احدهما ان ينشأ عندنا من الكتاب من يكونون اهلاً للقيام بها وتلقّي القرّآء بمطالبهم والثاني ان يعمّ العلم في البلاد ويتسع نطاق المعارف ويكثر عدد القارئين ولعلّ ذلك غير بعيد الحصول كما تبشرنا بهِ النهضة الحالية . واما الآن فان حالتنا تستميح هؤلاء الكتّاب عفواً وتسألهم العدول عن حرفة الصحافة الشريفة وتركها لمن هم اقدر على توفيتها حقوقها وان يلتمسوا رزقهم من غير هذا الباب من الاعمال التي قد تعود عليهم بالمكاسب الطائلة وعلى القرآء بالراحة التامة والله الموفق الى سوآء السبيل

مُتَفَرِّقَاتٌ

اسماء الأُسَر الروسية — نشر بعضهم في ذلك الاحصاء الآتي قال في بطرسبرج ٦٤,٠٠٠ نفس يُطلق على أُسرة كلّ منهم لقب ايڤانوف ومن هؤلاء ٣,٠٠٠ يسمّى كل واحدٍ منهم باسم ايڤان ايڤانوفتش ايڤانوف

ومعنى ڤتش ابن اي ايڤان بن ايڤان ايڤانوف

ويجيء بعد اولئك ۳٥,۰۰۰ تلقَّب أُسَرهم بلقب ڤازيلياف و ۲۹,۰۰۰ بلقب پتروف و ۲۲,۰۰۰ بلقب ميخائيلوف و ۲۳,٥۰۰ بلقب فيودوروف و ۱٥,۰۰۰ بلقب ايويرنوف و ۱۷,۰۰۰ بلقب يامانوف و ۱۸,۸۰۰ بلقب اندرِياف و ۱٦,٥۰۰ بلقب ستيپانوف

وهناك القابٌ اخر عدّ منها ألكسياف وغريغورياف ونيكولاياف وپاولوف واغوروف وألكسندروف وديمترياف وغير ذلك وكل واحدٍ من هذه الالقاب يُطلق على نحو عشرة آلاف نفس

قال وليس في كل بطرسبرج الا رجلٌ واحد لا شريك لهُ في اسمهِ يقال لهُ بريكالوف وقد خرج من عهدٍ قريب من هذه الحاضرة . اه

قلنا وليس هذا باعجب مما نراهُ في هذه البلاد من اماتة اسمآء الأُسَر حتى لا تكاد تجد اخوين او ابني عمّ يجتمعان على لقب واحد فيسمى احد الاخوة مثلاً بعمر لطفي والثاني بحسن رأفة والثالث بمصطفى فؤاد وقس على ذلك ولا سيما في ابنآء البيوت الكبيرة حتى ضاعت بذلك الانساب التي طالما كان السلف يفخرون بها ويحافظون عليها ولا يبعد ان يؤدي بعد زمن الى التناكر جملةً وتناسي صلة القرابة . وانما يفعلون ذلك اقتدآءً بالاتراك ولهذا في الاتراك سببٌ معلوم ليس في العرب ولكن هو الطبع الشرقي من دأب صاحبهِ التقليد والاستخفاف بكل ما عندهُ حتى يستبدلهُ بما عند غيرهِ ولو كان فيهِ حطٌّ لقدرهِ واضاعة لشرفهِ

نوح عصري — ذكرت احدى المجلات العلمية ان رجلاً من اهل نيوهاوِن احدى فُرَض الولايات المتحدة يدّعي ان الله اوحى اليهِ بحدوث طوفان جديد وهو يشتغل اليوم ببنآء سفينة يأوي اليها من الغرق كما فعل نوح ايام الطوفان . وهذه السفينة على هيئة يخت اميركاني وهي ولا ريب ستكون امتن بنآءً من سفينة نوح وسيوفَّر فيها من اسباب الراحة والرفاهية ما لم يكن في تلك

منظار نابوليون — في حوزة رجلٍ من اهل تورين اليوم اثمن اثرٍ تاريخي يحسدهُ عليهِ اعظم دور الآثار وهو المنظار الذي كان يستخدمهُ نابوليون الاول في وقائعهِ وقد انتهى اليهِ من احد رجال الجيش الذي كان مرافقاً لنابوليون . وهو منظارٌ صغير مؤلف من انبوبين من النحاس اذا فتح كان طولهُ ١٧ سنتيمتراً واذا أُطبق كان ١٢ سنتيمتراً وقد كُتِب عليهِ اسم نابوليون وفي داخله الجلد الذي كان يستعملهُ لتنظيفهِ . والمنظار موضوع في علبة مغشاة بالقطيفة عليها شعار الملكة اولغا من آل ورتمبرغ وكان ذلك الجندي قد دخل في خدمتها . وكان السبب في وصول هذا المنظار اليهِ ان نابوليون نسيهُ في دُرج [1] في مائدة سفرهِ حين كان في واترلو فاستولى عليهِ هذا الجندي واحتفظ بهِ كما يحتفظ بالآثار المقدسة وقبل وفاته وهبهُ للرجل التوريني المشار اليه

(١) الدُرج في اللغة سفط صغير تدّخر فيه المرأة طيبها وأداتها نقلهُ المتأخرون الى المعنى المراد هنا كما فعلوا في نقل العلبة والصندوق وغيرها (راجع البيان ص ١٤٠)

مطالعات

اكتشاف اوفير — هو البلد الذي كان سليمان (عم) يرسل اليهِ مراكبهُ فتحمل اليه الذهب على ما جاء في اخبارهِ في سفر الملوك وجلّ ما كان معروفاً من امر هذا البلد انهُ كان يُبحَر اليهِ من فرضة عصيون جابر عن طريق الخليج العربي ولم يكن يُعلم موضعهُ بالتحقيق فمن العلماء من جعل مكانهُ في نواحي افريقيا الشرقية بجهة صوفالا مثلاً ومنهم من كان يجعلهُ على سواحل الحجاز او في الهند بناحية صورات او كمباي وكانت السفن تقطع هذا الطريق ذهاباً واياباً في ثلاث سنين

وقد توصل في هذه الايام الدكتور كارل بتَرْس الى اكتشاف البلد المذكور قال هو الموضع المعروف اليوم باسم فورا وهو على عُدوة نهر مويرا على ٢٢ كيلومتراً من جنوبي نهر زمباز من افريقيا الجنوبية بين تيتي وسنا واهل تلك الناحية يسمّون مكَلَنْغا اي ابناء الشمس وهم يلتقطون الذهب على طول النهر ويبيعون منهُ مقادير عظيمة في اسواق باريا وتيتي

سبب الزلزال — كتب المسيو ساڤين فصلاً فيما يرتئيهِ من اسباب الزلازل قال ان الزلزال مسببٌ عن انفجار في الغاز او الماء يحدث غالباً في الاراضي المكتنفة بالماء فهو يحدث خصوصاً في الجزُر ولا سيما ذات الاراضي الفحمية التي لم تُفتح مناجمها ودليلهُ ان الجزائر التي قد فُتح ما فيها من المناجم الفحمية لا يحدث فيها زلزال

وعليه فلمقاومة هذه الجائحة او منعها يكفي ان يُحفَر في بعض مواضع من تلك الجزر آبارٌ ذات عمق كافٍ لأَن ينطلق منها الغاز او المآء او غير ذلك من غير ممانعة وافضل المواضع التي تحفَر فيها تلك الآبار ما كانت بقرب المآء المحيط بالجزيرة

اعمار المتزوجين والأعزاب — تتبع احد اطبآء الالمان اعمار ٢٠٠ رجل في سن الاربعين كان منهم ١٢٥ متزوجين و ٧٥ أعزاباً فلما بلغوا الستين كان المتزوجون منهم ٤٨ والاعزاب ٢٢ وفي السبعين كان المتزوجون منهم ٢٧ والاعزاب ١١ وفي التسعين كان المتزوجون ٩ والاعزاب ٣ . وعليهِ فيكونون في سن الاربعين على نسبة ٥ الى ٣ وفي الطورين التاليين على ما يقرب من نسبة ٣ الى ٢ واما الطور الاخير فما لا يُبنى عليهِ قياس

السفُع وقطر الشمس — تبين من تكرار الاقيسة التي عني بها المسيو سيكورا في مرصد خركو ان للسفُع (اي البقُع السودآء) التي تظهر على وجه الشمس تأثيراً في قياس قطرها فانهُ وجد ان القطر اذا قيس وعلى حرف الشمس سفُعةٌ كان اطول منهُ وحرف الشمس خالٍ منها وذلك في اليوم الواحد اي حين يكون بُعد الشمس واحداً بحيث يكون هذا الفرق ناشئاً عن ظهور السفعة واختفآئها . فيُستدَلّ من ذلك على ان محيط السفعة ناتئٌ عن مستوى سطح الشمس نتوءًا محسوساً حتى يكون لهُ هذا التأثير في قياس قطرها واذا كان قطر الشمس ٨٥٠ الف ميل فلا بد ان يكون ذلك النتوء بضعة آلاف من الاميال

تكرير السكّر — اكتشف احد الاميركان طريقةً لتكرير السكر بالكهربائية يمكن بها ان يكرَّر وسقٌ كامل (الوسق ٨٠٠ اقة) في مدة ساعتين فيخرج سكراً ابيض صلباً بنفقةٍ لا تزيد على عُشر النفقة المعتادة

اخفّ الجوامد — ذكر بعض المتحنين ان اخف الجوامد المعروفة هو لباب النبات المعروف بزهرة الشمس فان ثقلهُ النوعي لا يزيد عن ٢٨ من الف او ثُمن الثقل النوعي للفلّين

وصيتان علميتان — اوصى المسيو لاون ريبو من اهل ليون بمبلغ خمسين الف فرنك لمدرسة الطب في ليون يُرصَد ما يجتمع من ريعها كل خمس سنوات ليُعطى جائزةً لايّ عالمٍ من ناحيتهِ يمتاز بتأليفٍ او اكتشافٍ مفيد في علم حفظ الصحة او فرعٍ آخر من الفروع الطبية ولاسيما في حفظ صحة الاحداث

واوصت مادام بوكور بمبلغ اربعين الف فرنك يُنفق ريعها على الاكتشافات المحدثة في علم طبقات الارض

فوائد

الخشب الصخري — يتخذ الخشب الصخري بان تُخلَط نشارة الخشب بالمانيزيا المسحوقة وكلورور المغنيسيوم على نسبة اثنين الى واحد ثم يُرَشّ الخليط بالماء بواسطة مضخّة ويُعجَن فينشأ عنهُ طينة يمكن ان تُفرغ في

اي قالبٍ أُريد وبعد ذلك تعرَّض للهوآء حتى تجفّ وتتصلب فيكون عنها مادّةٌ قاسية وقليلة القبول للاشتعال . ويحسن استعمال هذا الخشب في تعمية السطوح والارصفة

غرآء الهلام (الجلاتين) والنشآء — يؤخذ ٤ كيلغرامات من الهلام ومثلها من النشآء ويُحلّ كلٌّ منهما في المآء على حدةٍ ثم يُرفع محلول الهلام على النار وبعد ان يغلي يضاف اليهِ محلول النشآء مع التحريك المتواصل حتى يتم امتزاجهما . اما مقدار المآء فيتعين بحسب اللزوم لكن ينبغي ان لا يكون في المقدار المذكور اكثر من ٩٢ لتراً

تنظيف المبارد — اذا كان ما بين اسنان المبرد محشوًّا من الرصاص او القصدير يُغمس في الحامض النتريك (مآء الفضة) ثم يجفف بنشارة الخشب ويخلَّل اي ينظَّف ما بين اسنانهِ جيداً . واذا كان محشوًّا ببرادة الحديد يتخذ لهُ مغطسٌ من كبريتات النحاس (الشب الازرق) ثم يُغمَس في مغطس من الحامض النتريك يقوّى حتى ينبعث عنهُ حين تغطيسهِ بخارٌ شديد . اما برادة الزنك والنحاس فتذهب الاولى بالحامض الكبريتيك والثانية بالحامض النتريك مكرراً

اسئلة واجوبتها

القاهرة — يقال ان اصل اليونان من يونان بن نوح فهل ذلك صحيح

ح . ع

الجواب — الذي ذكرتموهُ هو المشهور وعليهِ اكثر المؤرخين الا ان يونان هو ابن يافث لا ابن نوح وتحقيق اسمهِ ياوان . لكن الذي عليهِ المحققون ان اليونان ينتسبون الى يون بن اكزوتس بن هلان لا الى ياوان بن يافث ولعل هذا هو الاصح لان اليونان لم يُعرَفوا بهذا الاسم الا منذ القرن الخامس عشر او الرابع عشر قبل الميلاد حين انقسم الهلانيون او الأغارقة الى اربع طوائف سميت احداها باليونان او اليونيين وهي سلالة يون المذكور وذلك بعد عهد ياوان بن يافث بما لا يقل عن سبعة عشر قرناً . والظاهر ان الذي اوهم القائلين بانهم من ابناء ياوان بن يافث ان اليونان يسمَّون في كتب الانبياء باسم ياوان فظنوا ان الاسمين لمسمّىً واحد والصحيح ان ياوان هذا هو يون بعينهِ تصرّفوا في لفظهِ فقالوا ياوان على ان هاتين الأَلِفين من قبيل الحركات العارضة لان هجاءهُ العبراني « يون » ولا يبعد ان تكون زيادتهما من تحريف القرّاء ذهاباً الى ان هذا هو عين ذاك لاتفاق الاسمين على هجاء واحد والله اعلم

يافا — ارجو من حضرتكم الجواب على الاسئلة الآتية

(١) رأيت البيت الآتي من ديوان المتنبي مرويًّا في نسختكم العرف الطيب على هذه الصورة

احقُّ دار بأن تدعى مباركةً دارٌ مباركةُ المَلْك الذي فيها

ثم رأيتهُ في الجزء الاول من مجاني الادب وقد رُوي عجز البيت هكذا « دارٌ مباركُ المَلْك الذي فيها » فأي الروايتين اصح

(٢) ماذا يقصد ابو تمّام في البيت الآتي من قصيدةٍ يمدح بها احد الخلفآء العباسيين وهل المعنى الذي يُفهَم منهُ بعد التعليل هو من مليح المدح . والبيت هو قولهُ

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناتهُ آثامُ

(٣) الذي قرأناهُ في ترجمتكم ثم رأيناهُ مبسوطاً في احد اجزآء السنة الماضية من مجلتكم الغرآء انكم كنتم انتم المتولّين لتصحيح نسخة الكتاب المقدس المنسوبة الى الآباء اليسوعيين فنرجو ان تفيدونا هل الاصل الذي تُرجم عنهُ الكتاب المذكور كان امامكم ام قُدّمت لكم الترجمة العربية فسبكتموها في قالبها الحالي فانّا قرأنا فيها في سفر الجامعة (٣ : ٢١) الآية الآتية على هذه الصورة «من يرى روح بني البشر الذي يصعد الى العلآء وروح البهيمة الذي ينزل الى اسفل الى الارض» . ثم قرأنا الآية نفسها في ترجمة مرسلي الاميركان فوجدناها بهذه الصورة «من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل الى اسفل الى الارض» ولا يخفى ان بين الترجمة الواحدة والترجمة الاخرى ما بين الضدّ وضدّهِ فهل العبارة العبرانية تحتمل هذين المعنيين المتناقضين وهو في ظننا بعيد ام في احدى الترجمتين تحريف

يوسف العيسى

الجواب — اما بيت المتنبي فالمشهور في روايته ما رأيتموهُ في نسختنا وهو رواية الواحدي والعكبري وغيرهما على ان الروايتين بمعنى واحد وكلتاهما صحيحة . واما بيت ابي تمّام فظاهرهُ ذمٌّ محض الا انهُ يمكن ان يأوَّل على معنى انهُ يتجنب ذكر حسناته اي ان يذكرها هو فيتمدح بها او ان

تُذكر في مجالسهِ ويُطرأ عليها تجافياً منهُ عن سماع المديح حتى يكون المعنى ذاهباً في طريق قول المتنبي

يحدّث عن فضلهِ مكرَهاً كأنَّ لهُ منهُ قلباً حسودا

وعلى كل حال فان هذا البيت من الابيات المبهمة التي ينبغي للشاعر اجتنابها. واما الآية التي ذكرتموها في سفر الجامعة فلا ننكر ان صورة تعريبها في نسخة الاميركان اقرب الى مطابقة الحرف العبراني الا ان المفسرين اوّلوها على المعنى الذي يُفهم من تعريب النسخة اليسوعية اذ من المحال ان يكون مراد سليمان بها ما يفيد ظاهرها ولا سيما ان لهُ حتى في السفر نفسه كثيراً من النصوص التي تناقضها ولذلك عدل المترجم بها الى موافقة التفسير تفادياً من تشويش اذهان القرّاء

آثار ادبيّة

كتاب المباحث الحكمية في احوال وتربية القوى العقلية — هو كتابٌ دلّ عنوانهُ على مضمونهِ من تأليف حضرة الاستاذ الفاضل محمد افندي نصار مدرّس العربية في المدرسة الشرقية ببرلين سابقاً تكلم فيهِ على النفس وقواها وانفعالاتها وما يتصل بها من آلات الحسّ وما للعوامل الخارجية عليها من التأثير مع تفصيل هذه الجهات كلها وتطبيقها على حال الانسان مما يستفاد من جملتهِ كيف ينبغي ان تربّى نفس الصغير حتى ينشأ على الكمالات الانسانية وكيف ينبغي ان يلقَّى العلم حتى يكون علمهُ صحيحاً

نافعاً وكل ذلك بعبارةٍ واضحة المنهج خالية عن التعقيد والاغراب . فنثني على المؤلف ثناءً طيباً ونرجو لهُ تحقيق ما يقصد بهذا الكتاب من جليل النفع وما يترتب عليهِ من جزيل الثواب

والكتاب يشتمل على نحو ١٤٠ صفحة متوسطة وهو يباع في اشهر المكاتب المصرية وثمنهُ ٣ غروش

وصف الفيوّم — ما برحت آثار حضرة الفاضل الالمعي احمد زكي بك الكاتب الثاني لاسرار مجلس النظار تتواتر علينا المرّة بعد المرّة بما ينطق بفضلهِ ويشهد لهُ بالمثابرة والاجتهاد في كل ما يأول الى بث انوار العلم واحياء مآثر السلف. وقد اهدى لنا في هذه الايام نسخةً من رسالةٍ لهُ في وصف ما كانت عليهِ مديرية الفيوم في القرن السابع للهجرة كتبها باللغة الفرنسوية نقلا عن مؤلَّفٍ عربي للامير عثمان النابلسي الفهُ برسم السلطان الصالح نجم الدين الايوبي. وقد صدَّر الرسالة بترجمة المؤلف وتحقيق اسمهِ ونسبهِ وتعريف منزلته المدنية والعلمية بعد التنقير عن ذلك في زوايا المكاتب وتضاعيف الاسفار ولخَّص هذا الكتاب تلخيصاً حسناً واوجز مضمونهُ فصلاً فصلاً وختمهُ بفذلكةٍ قابل فيها بين ما كانت عليه تلك الناحية في ذلك العهد وما هي عليه اليوم فجاءت رسالتهُ هذه خلاصةً جليلة تشتمل على كثير من الفوائد الجغرافية والتاريخية فنشكرهُ على هذه الطُرفة الحسنة ونسأل لهُ دوام التوفيق الى كل ما فيهِ خدمة العلم والوطن وكسب الحمد وجميل الذكر

فكاهات

رواية

المخاصرة (١)

كان في مدينة ليون رجلٌ من اهل الثروة يقال لهُ فردينان يتعاطى بها اعمال التجارة فامتدّت علاقاتهُ واتسع غناهُ واتخذ لهُ ارضاً فسيحة في افضل بقعة من المدينة وبنى فيها قصراً فاخراً وغرس حولهُ حديقةً غناء ورتع هناك في بحبوحة السعادة مع زوجتهِ وولدهِ ادمون . وكان ولدهُ هذا شاباً ذكياً وقد هذَّبهُ وخرَّجهُ في الاعمال واتخذهُ مساعداً لهُ في تجارتهِ وكان لا يفتر عن اتخاذ الاسباب التي تزيد موارد غناهُ ليتركهُ لولدهِ الوحيد بعد وفاتهِ ويغنيهُ عن سواهُ من البشر . وكان لزوجة فردينان ابنةٌ من زوجها الاول يقال لها استير فبعد ان اتمت دروسها كرهت ان تبقى في بيت والدتها مع غير ابيها فأقامت في المدرسة تدرّس فيها مجاناً . اما فردينان فكانت احوالهُ البيتية الهنيئة ومكاسبهُ المتزايدة يوماً بعد يوم تزيد في سرورهِ فلم يكن يُرى الا باسم الثغر ناعم البال لا يهمهُ سوى اتباع المسرات وايلام الولائم واحياء الليالي بكل انواع السرور . ولما بلغ ولدهُ ادمون الحادية والعشرين من عمرهِ رغب والداهُ في تزويجهِ فأبى لان قلبهُ كان بعيداً عن

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

النسآء وكان والداهُ يلحّان عليهِ في ذلك بغية ان يرياهُ سعيداً مع الزوجة التي ينتقيها ليتحققا سعادتهُ قبل ان تدركهما المنية ولكنهُ كان لا يزداد الاّ اباءً ونفوراً واصراراً على ايثار الحياة الحرة . فجعلا يكثران من الولائم والدعوات وليالي الرقص والطرب ويدفعان ادمون اليها رغماً وهو يلاطف الجميع ويظهر كمال صفاتهِ وحسن سجاياهُ بدون ان يعلّق قلبهُ او يربط فؤادهُ باحد فخاخ الشيطان . ولم ييأس والداهُ من ذلك لعلمهما ان لا بد لكل ابن انثى وان طال عصيانهُ لسلطان الهوى من الانقياد لهُ صاغراً والانخراط رغماً عنهُ بين جنودهِ فتركا الحاحهما الشديد وعمدا الى تكثير الزيارات ولا سيما بين خرائد الجنس اللطيف وهما يرقبان وقوع ادمون ليفرحا بسقوطهِ

ولم تمضِ عليهم ايام قلائل حتى اقبلت المرافع واستعد سكان مدينة ليون لاحيآء لياليها على عادتهم ووُزّعت رقاع الولائم والمخاصرة وكان اهمها ليلةً عزم على احيآئها واحدٌ من اشراف الفرنسويين يقال لهُ المسيو برتران وقد اباح فيها الحضور لكل من شآء بشرط ان يحسن المخاصرة لان المدعوين في مثل تلك الليلة لا بد ان يكونوا ملثمي الاوجه فلم يكن مانعٌ من اختلاف طبقاتهم . ولما علمت والدة ادمون بذلك اتخذت تلك النهزة ذريعة لبلوغ امنيتها فأخذت تقنع ولدها بالذهاب الى تلك الليلة آملةً انهُ باختلاطهِ مع تلك الاصناف العديدة لا بد ان ينفتح صدرهُ للحب وكان فرديناند يعلم شدة تعلق ادمون بوالدتهِ فالحّ عليها في استعمال قوة محبتها لاقناع ادمون بذلك

وفي صباح يوم الليلة المعهودة نهض فرديناند من رقادهِ فرحاً مسروراً

لانهُ لم يكن يقف في طريق مسراتهِ شيء وقد استبشر سلفاً بما سيتمتع بهِ في ذلك المسآء . ولما جلس مع زوجتهِ وولدهِ الى مائدة الطعام التفت الى ادمون وفاتحهُ في امر الذهاب لحضور تلك الليلة فقال ادمون عجباً يا والدي من الحاكم الشديد أيفعل الانسان ما يكره ام ما يحب فقد علمتم انني لا اميل الى هذه الامور وانها تضايقني جدًّا فالجلوس في غرفتي مع كتبي احب اليَّ من اعظم احتفالات العالم . ولما الحَّ والداهُ في مجادلتهِ وقف بدون ان يجيب ثم لبس قبعتهُ وخرج من البيت . فتعجب والداهُ من اصرارهِ هذا ولما يئسا من انقيادهِ لمرادهما عزما ان يتركاهُ وشأنهُ ولا يعودا الى مفاتحتهِ في هذا الامر

ثم اقبل المسآء ولم يحضر ادمون فقلقت والدتهُ ولم تطاوعها نفسها على الذهاب الى نادي الافراح وهي قلقة البال فرغبت الى زوجها ان تبقى في البيت . فاستآء فردينان لذلك ولكنهُ لم يكن من الذين يهتمون بارضآء غيرهم ولم تكن هذه الموانع لتعوقهُ عن اتباع ملذاتهِ وتوفير سرورهِ فتركها وسار لا يلوي على شيء الى المزين فنفض عن رأسهِ غبار المشيب ورفع شاربيهِ وبدَّل الشيخوخة بعنفوان الشبيبة وبعد ما ادَّهن وتعطر ارتدى ثوب المساخر وتنكر بالوجه المستعار وذهب الى حيث كان موعد الاجتماع

وكانت دار المسيو برتران مزدانة في ذلك المسآء بالمصابيح والانوار الباهرة تشق ردآء الليل وتلقي عليهِ بهجة النهار وقد فُرشت الطرق والابواب بالازهار والرياحين وارتفعت الاسهم النارية تخترق صدر الفضآء واخذ المدعوون في الدخول باثوابهم الجميلة وهم متسترون ببراقعهم فكانت الدار

ومن فيها شعلةً من نور . ولما صدحت الموسيقى نهض الجمهور للمخاصرة وسعت الرجال في انتقآء السيدات ودارت رحى الرقص كامواج البحر الزاخر . وكان من اشدهم تمتعاً بتلك اللذة فردينان فلم يكن لتكل قدماهُ ولا تخور قواهُ وقد استعان باخفآء وجههِ على اغتنام تلك الفرصة التي ربما كان يتعذر الحصول عليها بدون التستر . ولما انتهى الفصل الاول بصر فردينان بفتاةٍ رشيقة القوام حسنة الهيئة فأسرع اليها وتأبط ذراعها ودعاها لتشاركهُ في شرب شيء من المنعشات فأجابت الفتاة بكل احتشام وسارت واياهُ ثم طلب اليها ان تقبلهُ مخاصراً لها في الرقص التالي فاعتذرت ولما الح عليها قالت انني لم احضر ليالي الرقص الا نادراً ولم اعتدهُ . قال وعلامَ اذاً اتيتِ في هذا المسآء . قالت لم يكن بودي الحضور ولكن لي صديقةً حسّنت لي هذا الاجتماع فصحبتها لا رغبةً في مشاركة اهلهِ بل على امل ان اشاهد فيهِ اناساً من ذويَّ ولكن من اين لي ان اعرف الحاضرين هنا وهذه البراقع تخفي الاخ عن اختهِ . قال فردينان اذاً السيدة ليست من ليون . قالت لا . ولم تكن شروط المساخر تسمح بزيادة الاسترسال معها في البحث وكان فردينان لا يهمهُ السؤال عن تلك الفاتنة وهو رجل متزوج فحوَّل الحديث الى موضوع الرقص وسألها قبولهُ معها في الدور الثاني وكانت الموسيقى على اهبة العمل فأخذ بذراع الفتاة وقد خجلت ان تصدّهُ بعد هذا الالحاح وانسابا بين الجمهور يرقصان حتى جذبا اليهما ابصار الجميع

ورأى فردينان من مهارة مخاصِرتهِ ولين حركاتها ورشاقتها ما اخذ بمجامع قلبهِ فطلب اليها ان لا ترقص مع غيرهِ في تلك الليلة . فشكرتهُ على

ذلك وقالت لا اظنني راقصةً مع احدٍ بعدُ ثم توجهت الى مقعد فجلست لتستريح . غير انها ما استقرّ بها الجلوس حتى اقترب منها فتىً معتدل القامة قد ارتدى لباس الفرسان الموشى بالحلى والنياشين فكان لهُ منظرٌ باهر ورغب اليها ان تمنّ عليهِ بصحبتها في الدور الثالث . فقالت ارجو ان تعذرني ايها الفتى فليس ذلك في امكاني هذه الليلة . قال لا اظن انك تبخلين بذلك على فتى لم يطلب هذا الطلبَ من سواكِ ويودّ ان لا تردّيهِ بالخيبة . قالت حبذا لو امكن فاني لست اهلاً لهذا . قال كيف ذلك وقد رأيتكِ منذ هنيهةٍ مرمى لابصار الجميع وكفى انني راقبتكِ طويلاً ولم اصدق ان يتسنى لي وجودكِ جالسةً لاطلب منكِ هذا الطلب . قالت قد اجبرني ذلك الرفيق على الرقص ففعلت وحتمت ان لا اكرر ذلك . قال وددت لو اجرّب قوتي معهُ لنرى ايُّنا اقدر على الاجبار

وما اتم الفتى كلامهُ حتى رأى الرفيق الاول امام وجههِ وهو يقول لقد اطلت جدالك ايها الوقح مع هذا الملك فدعها وشأنها والا انلتك ما تتمناهُ من معرفة الاقوى فينا . ولم يكن الفتى يتوقع المذلة الاولى فكيف الثانية فاشتعل غيظهُ من مزاحمهِ ورفع يدهُ ولكمهُ في صدرهِ احتقاراً وازدراءً وكان ذلك ما يتمناهُ الاول فاشهد عليهِ من بقربهِ وطلب الفتى للبراز . ولم يكن الفتى يتوقع ذلك فصمت حيناً ثم تذكر ان السيدة قد اخجلتهُ برفضها مخاصرتهُ وان الرجل اهانهُ بفظاظتهِ وخشي ان يوسم بالجبن اذا نكل عن مبارزتهِ فنزع قُفّازهُ من يدهِ وضرب بهِ وجه خصمهِ وهي علامة قبول البراز . فقال لهُ الاول قد قبلت اذاً فاستعدّ لما ستلتاهُ مني واختر متى تريد

ان يكون ذلك واين وكيف . قال اريد ان يكون ذلك في هذه الليلة بل الآن وهنا وكما تحبّ . ثم اتفقا ان ينحازا الى احدى غرف القصر ويُصحِبا بعض الشهود وان يعجلا في الامر قبـل ان تعترضهما الموانع وهما تحت حجاب التنكر

ولم تمضِ على ذلك الا دقائق قليلة حتى دخلا غرفةً ومعهما رجلان متستران انتقياهما من جماعة المدعوين واخذ كلٌّ منهما سيفاً واستعدّا لاستقبال الموت بينما كانت الموسيقى تعزف في الدار الخارجية والمخاصرة دائرة على قدم وساق . فوقف الخصمان وسيف كلٍّ منهما مصلتٌ بيدهِ وما اعطى الشاهدان العلامة حتى برق سيفاهما وهجما بعضهما على بعض . ويا للعجب من تغيُّر الانسان كيف يكون في الدقيقة الاولى سميراً للجنس اللطيف في غاية ما يكون من الرقة والانس مشابهاً للملائكة السلام ثم تراهُ في الدقيقة الثانية وحشاً ضارياً قد بدَّل رقتهُ بالشراسة وأنسهُ بالتوحش يظمأ الى ارتشاف الدمآء ويسر بقبض الارواح كابالسة الجحيم . واشتد العراك بين الخصمين ولقي كلٌّ من صاحبهِ ثبوت جنانٍ وقوة ساعد عظيمين ووثب الفتى وقد وجَّه الى عنق خصمهِ ضربةً قاضيةً فزلت قدمهُ قبل ان يصل اليهِ وكانت تلك فرصة لخصمهِ فطعن بسيفهِ صدر الفتى فدخل النصل فيهِ الى وسطهِ فارتخت يد الفتى وسقط سيفهُ من يدهِ وهوى بجسمهِ الى الارض والدم يتدفق من صدرهِ . فبُهت الشاهدان ووقف القاتل فرحاً بانتصارهِ مفتخراً بعملهِ الوحشي ثم اكبَّ الشاهدان على القتيل فمزقا البرقع عن وجههِ ليعرفا من هو . وحالما وقعت عليهِ عين فردينان ارتعشت اعضآؤهُ لانهُ تخيل فيهِ

شبه ولدهِ ادمون فأسرع واستثبت منظرهُ فلم يبقَ عندهُ شكٌّ انهُ هو هو وكأن صاعقةً انقضّت على دماغهِ فصاح صيحة اليأس ووقع مغشياً عليهِ

ولايستطيع القلم ان يعبر عن حال الوالد بعد ان عاد الى رشدهِ وتراجع الى مخيلتهِ ما فعلهُ في تلك الليلة فلعن ساعتهُ وافراحهُ ولذيذ لياليهِ ونتف شعرهُ وسار على اثر حاملي ولدهِ الى بيتهِ والزفرات تمزق صدرهُ والعبرات تحرق وجنتيهِ . ولما بلغوا البيت اسرع ذلك الوالد الحزين فرمى بنفسهِ على اقدام زوجتهِ وصاح بها قائلاً تعالي ايتها الثاكل وارفسي برجلكِ قاتل ولدهِ فقد قتلت ادمون بيدي . ولما رأت الوالدة ادمون قتيلاً بين يديها تفرست فيهِ ملياً وهي مبهوتة ثم طفرت في البيت تُعول وتصيح وقد فقدت شعورها . وفي اليوم الثاني دُفن ذلك الفتى المسكين في طاقات الازهار والرياحين وانقلب بيت فردينان من بعد الافراح والمسرّات الى الحزن الدائم فصبغ جدران بيتهِ بالسواد وقضى بقية حياتهِ مع زوجتهِ داخل غرفتهِ لا يأنس بمشاهدة احد ولا يرغب في سماع شيء سوى رثآء فلذة كبدهِ . وبعد بضعة ايام ورد على فردينان كتابٌ فطرحهُ على كرسيٍّ وتركهُ اياماً الى ان كان ذات يوم ففتحهُ فاذا هو من ابنة زوجتهِ استير تصب فيهِ على نفسها اللعنات وتذكر انها هي فاتنة تلك الليلة المشؤومة . وكانت بعد ان قضت تلك الليلة اكراماً لرفيقتها عادت واياها الى المدرسة ثم بلغتها الحادثة بعد ايام فحزنت حزناً شديداً وكرهت العالم فقصّت شعرها ودخلت الدير لتقضي بقية الحياة مترحمةً على الميت مترجية لهُ العفو والغفران